نظرة على العربية الفصحى وتحدياتها

د. عبد الرزاق حسين غالب، محاضر بكلية اللغة العربية، الجامعة الإنسانية، "قدح" بماليزيا

مقدمة

الحمد لله الذي رفع هذه اللغة وأعلى شأنها حيث أنزل بها خير كتابه، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد..

لم تكن اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم حكراً على ألسنة أصحابها وحسب، بل أصبحت لغة المسلمين في شرق الأرض وغربها، الأمر الذي أدى إلى إزدياد قدسيتها في نظر الجميع، وسارع المسلمين لتعلم هذه اللغة وتعليمها لأنّ ذلك من تمام دينهم، وأصبح التهاون في اللغة العربية تهوناً في العقيد الإسلامية. بجانب ذلك توفرت للغة العربية خصائص مميزة لم تتوفر للبقية اللغات الإنسانية. فهي كلما توسع أفقها قربت من أصلها وهو القرآن الكريم. إلى جانب ذلك هي ركن ثابت من أركان هويتنا الإسلامية، فيحق لنا أن نعتز بها ونفتخر بها، كما يكون لزاماً علينا أن نؤمن بقوتها وغرازتها ومرونتها وقدرتها على مسايرة التقدم في شتى المجالات.

إن اللغة من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، وهي الأداة التي سجلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا. وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل. إنها تمثل خصائص الأمة واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية والموجهين لسفينتها. ولكن وللأسف هناك جهات كثيرة تستهدف هذه اللغة وتسعى إلى قضاء عليها، حيث يتهمون فيها بالعقم والجمود والتحجر، لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل يسعون إلى إزالة الفصحى وإحلال اللهجة بها. إضافة إلى ذلك أن العولمة اللغة أصبحت جزء من العوامل التحدي على لغتنا العربية.

١- تطور اللغة العربية

قال أحمد أمين، في كتاب (حياتي) كلمات ذات المعاني القوية المشعة : "لا أمل في إصلاح مصر مادام هناك لغة للعلم ولغة للكلام، فإما أن ترقى لغة الكلام، وإما أن تنحط لغة العلم حتى تتحدا، وحينئذ فقط يكون التفكير الصحيح واللغة التي تستمدّ روحها من الحياة الواقعية "[١] وأهمية هذا الكلام تكمن في أنه صادر عن شخصية علمية، وأنه قيل في فترة مبكرة كان فيها التفكير في تطوير اللغة العربية محدوداً للغاية. ومما يزيد في أهمية هذا الكلام أنه يربط بين مسألتين اثنتين كانتا في ذلك العصر في غاية الأهمية: إصلاح أحوال مصر، في العقد الثالث من القرن العشرين، وبعد مضيّ ست سنوات على استقلالها، والدعوة إلى التوحيد بين لغة العلم ولغة الكلام. وإن كانت لغة العلم تحتفظ دائماً بمسافة بينها وبين لغة الحياة العامة. ولكن المعنى المقصود هنا، هو تيسير اللغة العربية وتطويرها، بحيث تقترب من اللغة المتداولة في المجتمع، حتى تواكب تطور الحياة ومتغيرات العصر.

وهذا الربط بين إصلاح أحوال المجتمع وبين تطوير اللغة، في تلك المرحلة المبكرة من عشرينيات القرن الماضي، يثبت لنا أن الوعي بضرورة مواجهة التحديات التي تحاصر اللغة العربية، ليس وليد اليوم في عصر العولمة، وأن إصلاح اللغة هو جزء لا يتجزأ من إصلاح المجتمع، وأن اللغة تعبر عن حال المجتمع، وأن المجتمع هو الذي يطور اللغة ويجددها ويجعلها تحيا وتساير المتغيّرات.

وليس معنى تطوير اللغة تيسير النحو وتبسيط القواعد فحسب، وليس معناه أيضاً نقل الألفاظ والتعابير الجديدة عن اللغات الأجنبية. فهذا شأن، أما الشأن الذي نقصد إليه، فهو الارتقاء باللغة لتكون في مستوى تطور الفكر والحياة والمجتمع، بحيث تصير اللغة منتجة ولا تظل لغة مستهلكة. وحين تنتج اللغة تصبح دافعاً للتقدم في الميادين جميعاً. وفي هذه

[١] أحمد أمين ، حياتي،صفحة ١٨ ،دار الكتب العربي ،١٩٧م

الحالة تتخطى الحواجز التي تمنعها من الاندماج في العولمة. وحينما تستهلك اللغة وتأخذ ولا تعطي، يضعف مركزها وينتهي بها الأمر إلى الإفلاس[٢].

يرى المفكر المغربي علال الفاسي أن الأصل في اللغة أن تتغير وتتطور وتنمو، لكونها مؤسسة للتفاهم بين الناس، والتعبير عن عواطفهم وخلجات أفكارهم، فمتى نما الفكر واختلفت الحاجة وبرز الإبداع، نمت اللغة واختلفت، ووجب العمل على تنميتها والإبداع فيها، ولا يمكن الجمود أو الانقطاع عن الاجتهاد، لأن من صفات العلم البحث عن المجهول واستخراجه واكتناه الحقيقة، ومواكبة المستجدات. وليس مشكل اللغة ومواءمتها للحاجات وقفاً على اللغة العربية، بل إنه مشكل جميع اللغات[٣].

فتطوير اللغة العربية ضرورة من ضرورات تطوير الحياة العامة في العالم العربي الإسلامي، لأن التجديد إنما يبدأ من اللغة، وبناء المستقبل يقوم على أساس تحديث اللغة حتى تكون لغة المستقبل.

وليس بخاف أن تنمية اللغة تكون بتفعيل نموّها الطبيعي، حتى تتغير وتتطور وتنمو. فإذا جمدت اللغة وانكمشت، ضمرت وضعفت وفسدت. لأنَّ في جمودها فساداً لها. وفساد اللغة فسادٌ للمجتمع.

وإن مما لاشك فيه أن اللغات تتطور وتنحط، وتتقدم وتتأخر بحسب درجة الناطقين بها من الرقي الحضاري والتقدم الاجتماعي، ولذلك فهي ليست ظاهرة اجتماعية فحسب، ولكنها مرآة مجلوة لتسجيل درجة الوعي الحضاري لدى متحدثيها. وليست اللغة من وجهة أخرى، مجرد ظاهرة اجتماعية كما يتمثلها علماء الاجتماع، وإنما هي أداة تعبيرية طيّعة حية تبلغ ذروتها حين يعمد الناطقون بها إلى التماس الجمال الفني في تعبيرهم بها، وفي

---

[٢] الدكتور عبد الملك مرتاض، التعددية اللغوية،فقج جديد لتمزق الهوية الوطنية،مجلة" العربي" العدد ٥٠٠ صفحة،٢٧، أكتوبر ٢٠٠٠. الكويت.

[٣] التربية والتعليم واللغة عند علال الفاسي،للدكتور عبد القادر الفاسي، مؤسسة علال الفاسي، الرباط، ط٢٠٠ .

التألق في انتقاء ألفاظها عبر نظامها الصوتي والتركيبي، مما يجعل من تعابيرهم، لوحات فنية من النسوج الكلامية تروق سامعها، وتبهر قارئها[٤].

ولكن تطوير اللغة، أيّاً كانت هذه اللغة، هو جزء لا يتجزأ من تطوير المجتمع الناطق بها من النواحي كافة، وليس من الناحية الثقافية فحسب. وإذ كان هذا التطوير قضية ترتبط بنموّ القدرات الذاتية على التغيير الإيجابي في مستويات الحياة العامة، فإن اللغة لن تكون في المستوى الراقي من التألق والازدهار والقوة والقدرة على مسايرة راكب التقدم في الميادين جميعاً، ما لم تتوافر الإرادة الجماعية للإصلاح الذي يبدأ من التطوير والتحديث.

٢- تحديات أمام الفصحى

تهمة التحجر والقصور جزء من التحديات التي تواجه اللغة العربية الفصحى.يقول أعداء الفصحى: أن أساليب اللغة العربية لاتتواكب مع أساليب القر الحادي والعشرون،وأنّ تخلف العلمي في العالم العربي يرجع سببه إلى تمسك العرب بلغتهم في مراحل التعليم.[٥] أن التحدي الذي يوجه اللغة العربية مرده إلى شعور المبالغ،فيه أهمية اللغة الإنجليزية، والظن الزائف بأنّ التقدم لايأتي إلا عن طريق اتقان اللغة الإنجليزية، أن هذه الشعور يأتي الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها إنسان العربي المسلم في هذا العصر. من اتهم في العربية بالتحجر والتجفف، إنه إنسان غير منصف. أن اللغة العربية لغة الجمال، حيث تميزت هذه اللغة بخصائص لاتوجد في أي لغة أخرى،مثل الاشتقاق، ووضع للكلمة الواحدة مترادفات،كل مرادف يؤدي معنى غير مايؤدي الآخر. هناك فرق بين قعد وبين جلس،قعد أي من قيام،جلس أى من إضجاع،كان نائماً أومضجعاً فجلس بالإضافة إلى ذلك لكل صوت له

---

[٤] الدكتور عبد الملك مرتاض، التعددية اللغوية،فقج جديد لتمزق الهوية الوطنية،مجلة" العربي" العدد ٥٠٠ صفحة،٢٧، أكتوبر ٢٠٠٠. الكويت.

[٥] كمال بشير، اللغة العربية بين العروبة والعولمة، بحث مقدم في مؤتمر مجمع اللغة، في دورته الثامنة والستين يوم الإثنين،١-٤-٢٠٠٢م

اسم: البكاء للإنسان، العواء للذئب، الثغاء للغنم، الرغاء للإبل، الخوار للبقر،الصهيل للخيل، النهيق للحمير، النقيق للضفادع النعيق للغراب.. الخ.[٦]

ومن مميزات اللغة العربية ،ثبات الأصول ومرونة الفروع، ومحافظتها على روابط الاشتقاقية، أما اللغة الإنجليزية التي تزاحم اللغة العربية، فإنّ معاجمها تتغير بين حين وآخر ولايمر عليها قرن واحد إلا ويصيبها تغييراً أساسي في مفرداتها وقواعدها. قال مستشرق فرنسي وهو يشهد ميزة هذه اللغة: أن للعربية ليناً ومرونة،يمكنها من التكيف وفقاً للمقتضيات العصر.[٧] مع هذا كله هناك جهات تحاول تشكيك في صلاحية اللغة العربية للتعبير عن المحتوى العلمي.قام خبير فرنسي تجربة بهدف إقناع على العرب والمسلمين بأن الفصحى لايمكن أن تكون لغة علم، إذ أختار هذا الخبير بعض النصوص العلمية باللغة الفرنسية ثم طلب من فريق من الأساتذة نقل هذا النصوص إلى اللغة العربية، ثم طلب من فريق آخر العودة بهذا النصوص إلى اللغة الفرنسية،ثم قام بمقابلة النصوص الأصلية بالنصوص الراجعة، فحكم أنّ اللغة العربية لايمكن أن تكون لغة علم. هناك أعداء اللغة العربية من بني جلدتها، يرددن أنّ اللغة العربية لاعهد لها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة،ولاتستطيع المصطلحات الحضارية.[٨]

وهذا شيء مضحك، وليس له أساس، أنّ اللغة العربية تراث الهائل من شعر ونثر وخطب ومقالات،كيف تم هذا التراث لولا قدرة اللغة على الوفاء بحاجات والاستجابة لمتطلبات العلمية. رحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي رد على هؤلاء على لسان اللغة العربية المظلومة حين قال:

رموني بعقم في الشباب وليتني عمقت فلم أجزع لقول عداتي.
ولدت ولما لم أجد لعرائسي رجالاً وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغايتا وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات

---

[٦] الشيخ يوسف القرضاوي، البرنامج الشريعة والحيات، في قنات الجزيرة التاريخ٢٠٠٩/٣/٢٣

[٧] عبد الإله أحمد النبهان، بحوث في اللغة، والنحو، والبلاغة،دزت ص-٥٤

[٨] أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها،مطبعة الرسالة، القاهرة،د.ط،ص-٢٨

أنا البحر في أحشاءه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة وكم عز أقوام بعز لغات[٩].

٣- المنظمات التبشيرية وهجماتها على الفصحى

من ضمن ووسائل لمحاربة الفصحى، هناك منظمات تبشيرية ترسل خبراءها إلى بعض دول العربية وتعرض تمويلات سخية في انجاز مسلسلات جديدة للأطفال، شريطة أن تكون مسلسلات بالعامية لا بالعربية الفصحى، أما في الجامعات الأوروبية هناك إصدار تشريعات تربوية، تلغي اختيار اللغة العربية الفصحى كلغة أجنبية في الجامعات، وتحل محلها مجموعة من العاميات، فقسمت العاميات إلى ثلاث مجموعات، عامية متصلة بشمال أفريقية، وعامية مصرية، ثم العامية الخليجية، وجه الاستعمار الغربي تلك الهجمة الشرسة على الفصحى، حينما علم أن الإسلام يقف عائقا أمام تنفيذ سياساته[١٠]

وهناك أسباب أخرى لإحلال العامية مكان الفصحى وهي تجزئة الأمة العربية : أن حركة المستشرقين كانت تدعو إلى العامية وإلى الشعر العامي، أن الإعلام إيضا اعطى اهتماما خاصا للشعر العامي، حيث أن بعض الصحف تفرد صفحات للشعر العامي، كما أن بعض الإذاعات تفرد برامج خاصة للشعر العامي،. أما الفضائيات فحدث ولا حرج، وبالمقابل فإن وسائل الإعلام لا تخصص للشعر العربي الفصيح مساحة تذكر، أما استخدام الشعر العامي فغرضه توسيع رقعة دائرة اللهجة، وتقوية اتنماآت العصبية التي قد تؤدي إلى التنافر والتفكيك روابط الأمة العربية والإسلامية، كما يترتب تدريجيا انسحاب الفصحى وتواريها وانقطاع سبل الاتصال الصحيح بالثقافة والعقيدة، والتراث الإسلامي، حيث يولد هذا الأمر التنافر والتباعد والعزلة بين الدول العربية، وكذلك العالم الإسلامي. من أجل ذلك يشجع أعداء اللغة العربية استخدام اللهجات في كافة المناحي الثقافية والاجتماعية، واليوم وفي ظل الهجمة الجديدة

٥٦- ديوان حافظ إبراهيم، ص- ٢٢٠

٥٧- محمد يوسف الشريحي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة ابحاث ومطبوعات، منتديات جامعة المعرفة العالمية ص ٢٠

تنتشر القنوات الفضائية التي تتصدرها المذيعات باللهجات العامية حيث تدار معظم البرامج باللهجات.

هناك سبب آخر لهجمة الفصحى وهي: طمس الشريعة الإسلامية، يقال أن العملة الردئية تطرد العملة الجيدة، فاللهجات حينما تحتل مساحة كبيرة من التعبير والتواصل، تدريجيا ستصبح عامل الطرد للغة الفصيحة من مجال التعبير بل ستتعدى إلى مجال الكتابة والقراءة وحينئذ يبتعد المجتمع العربي والإسلامي عن تراثه العقيدي والديني والفكري والأدبي، وفي مقدمته القرآن والسنة، وهذا هو بيت القصيد. وأن بقاء اللهجات العامية مرهونة ببقاء اللغة العربية الفصحى، أما حين تختفي اللغة العربية الفصحى، كما يخططها أعداءها فإن اللهجات ستتغير وتتبدل بين حين وآخر. حتى تبتعد عن جدورها، وحينئذ ستكون فريسة سهلة للهجمة الشرسة من عولمة اللغة، بعد أن أصبح باب الثقافة العربية مفتوحا للغارات العالمية المتمثلة بالثقافة الأمريكية الشائعة عبر الأقمار الصناعية، وشبكات الانترنيت، ومخاطر العولمة في هذا الجانب يكون أكبر، حيث تذوب اللهجة بين اللغات الأجنبية، وتحل الأزياء الأمريكية والإنجليزية محل الأزياء العربية، فإن المواد تحمل أسماء إنجليزية، كما تكتب اللافتات والإعلانات التجارية بالإنجليزية، وبفتح الطفل العربي عينيه على كتابات بالإنجليزية على ملابسه على ملابس أفراد أسرته وأحذيتهم هكذا تختفي اللهجة بعد أختها بقليل. وهكذا سيتحقق ما تبقى من المشروع الغربي، وهكذا تتمزق وتتقطع الوشائج والروابط بين أبناء العروبة والإسلام[١١]

حياة اللغة كحياة الأمم، تعرف دائما صعودا وهبوطا، وأن مرضها قابل للعلاج، بل موتها يختلف عن موت الكائنات الحية التي لا سبيل للبعث قبل يوم الحساب فهي قابلة للانتشال من براثين الموت، وللأنبعاث بقرار السياسي المعزز بجهود العلماء والخبراء اللغويين. وخير دليل على ذلك اللغة العبرية فقد اختفت وعابت عن الساحة منذ قرون، ثم من فضل جهود أهلها انبعثت وعادت إلى الساحة.

---

[١١] – أحمد شيخ عبد السلام العولمة والثقافة اللغوية وتبعاتها للغة العربية، مقال مقدم في مؤتمر مجمع اللغات في الأردن ٢٠١٠م ص ٢٠

٤- الإعلام العربي وتحدياته على الفصحى

الإعلام هو التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير، وروحها وميولها، واتجاهاتها فهو أولا وقبل كل شيء يعبر عن أهم مؤسسات التشكيل الثقافي[١٢]. و الاتصال الجماهيري يتسع يوما بعد يوم، فالسماء وما فيها من أقماؤ صناعية، والأرض وما فيها من مستقبلات فضائية، كل يخاطب، أن الإعلام ألغى كل الحدود الجغرافية والسياسية للدول، فأصبح التلفاز والوسيلة التي تستهلك أكبر وقت من حياة المشاهدين، وكذلك الصحف.[١٣] إدراة الإعلان تخطط برامجها على أساس أن الجمهور يقع بين حدين الأمية، والثقافة إذا كان البرامج يتعلق بخطاب رسمي كنشرات الأخبار والتقارير والمناسبات السياسية، والمسلسلات الدينية، يبث باللغة العربية الفصحى، أما إذا كان يتعلق ببرامج الأطفال والأسرة، والمسلسلات المعاصرة، والأغاني فإنه يبث بالعامية، لو قارنا بين الجمهور الذي يتابع البرامج الرسمية، وبين الذي يتابع البرامج الذي يبث بالعامية نجد أن المتابعين لبرامج الأطفال، والمسلسلات المعاصرة، والأغاني يتضاعف على المتابعين ببرامج الأخبار والمحاضرات، والسياسة الذي يبث باللغة العربية الفصحى. هكذا يستخدم الإعلام اللهجات العامية في البرامج التي تحظى بإقبال الجماهير.

إن المسلسلات التلفزيونية أثرت على الشارع العربي والإسلامي، بشكل لافت للإنتباه، فإذا بث تلفاز مسلسلات سودانية، فنجد أن معظم الشارع يتخاطب باللهجة السودانية،وكذلك إذا بث مسلسلا مصريا فمن الغد تتيغير لغة التخاطب. هذا من بين الأسباب التي أدت إلى تدني مستوى تعليم اللغة العربية في لعالم العربي والإسلامي، هكذا تواجه اللغة العربية في تحديات في وطنها وفي عقر بيتها.

لا تختصر المشكلة في مجال الإعلام عند هذا الحد، أن اللغة العربية الفصيحة تقهقرت بفعل انحدار المستوى اللغوي نتيجة للحضور القوي للعاميات في وسائل الأعلام، إذن أن استمرار هذا الوضع السلبي مع صمت المثقفين والإعلاميين كفيل بتدهور منزلة اللغة

---

[١٢] – محمد خليفة، الارتقاء بالعربية وسائل الإعلام صحيفة الوسط الاقتصادية ص ٢

[١٣] – عمر عبيد حسنة ، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، منقول من موقع الخيمة بتصرف ٢٠١١٩/١٠/٢٨م

العربية أمام الزحف الشرس للهجات العامية[١٤]. قال محمود عباس العقاد: والعامية هي لغة الجهل وليست لغة الثقافة، فإذا عطفنا على العامية فإنما نعطف على الجهل ونستبقيه زنستزيده، ولا نخفف وطأة الفقر ذرة واحدة بتغليب عبارا الجهالة على العبارات التي تصاغ بها آراء المتعلمين والمهذبين.[١٥]

الأمر يحتاج إلى وقفة أمام مخططات مشروع إحلال اللهجة في مكان الفصحى، وإبعاد اللهجة، واسترداد الفصحى إلى مكانتها، وهذا يتطلب من أصحاب اللغة العربية جهودا مكثفة وبدل كل غال ونفيس لمقاومة تيار العامية.

٥- اللهجات العربية وتحدياتها على الفصحى

واجهت اللغة العربية الفصحى صعوبات وتحديات، منها إحلال اللهجة العامية، مكانها في ألسنة الناطقين أن الدعوة إلى العامية تمتد بجذورها في التاريخ، كما كان هناك تداعيات وأسباب أدت إلى انتشار لهجة العامية في العالم العربي، أولها مؤامرات غربية على اللغة الفصحى منذ دخول الاستعمار الغربي إلى وطن العربي، ففي بلدان المغرب العربي،كجزائر ومغرب، وفي قرن الأفريقية كجبوتي،حوربت اللغة العربية،ومنع تعليمها،كما تم استبدالها باللغة الفرنسية رسمياً، أما في مصر، ولبنان، والعراق، ظهرت دعوات للكتابة العربية بالحرف اللاتيني، بدلا من الحرف العربي، كما ظهرت لاحقاً دعوات في بعض الدول لاستخدام العامية واللهجات المحلية، بدلاً من اللغة العربية الفصحى، قد قام بذلك، المستشرقون الغربيون، وساندهم في ذلك بعض المثقفين العرب، بحجة عدم صلاحية اللغة العربية كلغة للحضارة [١٦]

---

[١٤] – سالم المبارك الفلق، اللغة العربية والتحديات والمواجهة ص ٢٠

[١٥] – مقال لـ عبد الفتاح الفاتحي بعنوان، اللغة العربية وتحديات اللعولمة، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ٢٠١٠/٢٨/٤م

٦٣ – سالم مبارك،الفلق،اللغة العربية تحديات ومواجهة، ص١٨

٦- عولمة اللغة وتحدياتها على الفصحى

من أهداف عولمة اللغة إضعاف اللغة العربية بتشجيع اللهجات العامية. قد يتساءل السائل ما هو مستقبل اللغة العربية في عصر العولمة، وثورة المعلومات؟ قضية تستحق التأمل والدراسة والوقوف عندها، لأنها تثير قضية جوهرية في أيامنا هذه وهي مكانة اللغة العربية في ضمير الأمة وفي حياة المواطن العربي والمسلم، وفي وجدانه وطريقة تفكيره يشير أزمة معقدة تنتشر بسرعة فائقة، والأمر خطير لعدة اعتبارات، من أهمها أن العولمة لا ترحم ولا تشفق، ومن لا يحصن نفسه بالعلم والمعرفة، فإنه سيذوب وسيصبح كاللقيط لا يعرف له أصلا، ولا تاريخا ولا جذورا.[١٧]

إن اللغة هي هوية الشعب، وهي القاسم المشترك الذي يجمع الأمة في التعبير عن أفراحها، إذن فهي تحدد لنا كيف نفكر، وكيف نلبس ونأكل، ونمرح ونمزج، فهي وعاء كبير قد يحتوي على معان وأفكار، ومعتقدات وسلوكيات، تعكس الفرد في بعده الإنساني والحضاري والثقافي والديني والاجتماعي، ولهذا نرى دولا كبيرة تنفق مئات الملايين من الدولارات سنويا لنشر لغتها، أسست فرنسا منظمة الفرنكفونية، وتنفق عليها بسخاء لتحافظ على انتشار لغتها في إفريقيا، وآسيا. وبريطانية تعزز مكانة لغتها في العالم، ومن خلال اللغة ينشر الفرنسيون والبريطانيون ثقافتهم وحضارتهم، وتاريخهم، فالمركز الثقافي البريطاني يوجد في معظم العواصم في العالم، إذن بالمقابل، ماذا فعل العرب لنشر اللغة العربية وجعلها لغة العلم والحضارة والدين الإسلامي؟ أين المراكز الثقافية العربية في العواصم العالمية؟ وما الدور الذي تلعبه الملحقات الثقافية في السفارات العربية في العالم لنشر اللغة العربية؟ ففي العالم العربي أصبح الكلام يدور حول حماية اللغة العربية، وليس حول نشرها.[١٨]

---

[١٧]. مقال لعبد الفتاح الفاتحي بعنوان اللغة العربية وتحديات العولمة المنظمة العربية للثقافة والعلوم ٢٠١٠/٢٨/٤م

[١٨]. المصدر السابق

٧- الآثار السلبية لعولمة اللغة

انحسرت استعمال اللغة العربية في العالم الإسلامي، كما تراجع استعمال اللغة لعربية في الاتصالات، انشغلت اللغة العربية في العصر الحديث بالتعامل مع المصطلحات والمفاهيم الحديثة، بدلا من الإسهام في البناء الحضاري فوجد اتجاه لمعاملة المصطلح الوافد معاملة الدخيل، وهو اتجاه يحشو العربية بمفردات أجنبية، ويؤدي على المدى البعيد إلى مسح هويتها، إضافة إلى مزاحمة اللغة الإنجليزية والفرنسية على اللغة العربية في عقر دارها في وسائل الإعلام، كإصدار جرائد محلية بإحدى هاتين اللغتين، بجانب وثائق رسمية، من جوازات، وبطاقات، ورخص قيادة، وإعلانات تستخدم الإنجليزية بجوار اللغة العربية، فكأن العربية لا تؤدي الغرض .

اثنان لا يختلفان في تأثير العولمة على اللغة العربية، كما نجد الانتشار الرهيب لبعض الكلمات الأجنبية على حساب اللغة العربية، ولأسوأ من ذلك انتشار الأسماء الأجنبية على وجهات المحلات التجارية، هذا سيكون له تأثير سيء على اللغة العربية في المستقبل، وجدير بالذكر أن اللغة العربية تواجه جفاء من أبنائها، حيث يفضلون استخدام اللغة الإنجليزية بدل اللغة العربية، وأن اللغات تتأثر بقوة أهلها، وضعفهم، والمشاهد الآن ضعف الأمة العربية والإسلامية تجاه كل ما هو عربي، فهكذا أصبحت اللغة العربية ضعيفة أمام اللغات الغربية.[١٩]

٨- الآثار الإيجابية لعولمة اللغة

تمنح العولمة فرصة كبيرة لإعداد اللغة العربية لتصبح سلعة تجارية تتناقل بين الناس في مختلف دول العالم، ويتحقق هذا المشروع بتشجيع الأبحاث العلمية اللغوية العربية وتوجيهها لتكون وسيلة لاستعمال هذه اللغة، ولتيسير تعلمها كما يوفر الإنترنيت للمدرسة الإكترونية في تعليم اللغات الأجنبية، وتوفير المعلومات اللغوية الثقافية، إذن ينبغي أن يستغل أصحاب اللغة العربية في نشر لغتهم وتقريبها لمن يرغب في معرفتها في كل مكان.

---

[١٩]. مقال لـ محمد عبد الحي، بعنوان اللغة العربية والعولمة، مجلة التعليم، المعهد التربوي بنواقشوط العد ٣٤/ ٢٠٠٣/ ص ٢١

من الآثار الإيجابية تقديم خدمات الترجمة للعربية الآلية على الإنترنت، كما يمكن استغلال البريد الإكتروني باللغة العربية في التبادل الثقافي، وتطوير العلاقات الاجتماعية، وتعليم اللغة العربية لغير العرب، فهو من أيسر وسائل العولمة وأرخصها، وتستدعي الإفادة منه وجود مؤسسات علمية فاعلة ومراكز أبحاث نشطة.[٢٠]

إن اللغة العربية الفصحى قادرة على نقل أي علم وأي معرفة في كل الأوقات والأزمنة, فالعيب ليس في اللغة، إنما العيب في من يستعمل هذه اللغة، أصبح النخب العربية المثقفة تتباهى باستعمال اللغة الإنجليزية، حتى الموظفين على مطارات العالم العربي، إذا تكلمت معهم باللغة الإنجليزية ستمر على إدارة الجوازات، ومكتب الجمارك كالبرق، أما إذا استخدمت اللغة العربية الفصحى، فسوف يوجهون إليك استجوابات وتحقيقات ليس لها نهاية. وتغادر من المطار أنت تلقى اللعنة على الفصحى، وتندم من الوقت الذي أنفقت عليها في أثناء تعلمك إياها. أما الذي استخدم اللغة الإنجليزية فيخرج من المطار مرفوع الرأس. هكذا أصبحت اللغة العربية الفصحى في أوساط العالم العربي محل الاستهزاء والسخرية، حيث ينظر إليها أنها لغة التخلف، ولغة لطبقات الفقراء والمساكين والمغلوبين على أمرهم.

٩- تحويل الحرف العربي إلى الخط اللاتيني

إنّ الوسائل التي استخدمها أعداء اللغة العربية، قد نجحت جزئياً في بعض المناطق في العالم العربي، ومن بينها الصومال، حيث تحولت الكتابة من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني. في الوقت الحالي تغيرت الاستراتيجية، بعد أن استفادوا من عولمة اللغة، واقتنعوا بأنّ خير وسيلة لمحاربة اللغة العربية هي: توجيهها بضربات قاضية وتدميرها من الداخل بواسطة استخدام اللهجات العامية في الوطن العربي وفي خارجه[٢١]، من أجل ذلك أن يذهب الطالب الأجنبي إلى العالم العربي ويتعلم الهجة العامية في العالم العربي بدل أن يتعلم العربية الفصحى، ثم يعود إلى وطنه فيصبح أستاذا جامعيا ويحاضر بالعامية.

---

[٢٠] . الدكتور أحمد عبد السلام، العولمة ولثقافة اللغوية وتبعاتها للغة العربية بحث مقدم في مؤتمر مجمع اللغات في الأردن ص ٢٠ ٦٨ إبراهيم إمام، دراسات في فن الصحف،ص-٤٨

١٠- مكانة الفصحى في عالم الواقع

لاجرم أنّ واقع أية أمة من الأمم يعكس واقع لغتها قوة وضعفة، ونهضة وسقوطاّ.إذا كانت الحياة العقلية والفكرية والثقافية للأمة في مسار النهض والتصاعد والرقى، كانت اللغة على قدر ذلك، نهوضاً ورقياً واتساعاً وخصوبة. فهي: الأداة المعبرة عن منجزات العقل وإبداعاته، وعن نمو الثقافة وامتداتها. وهي وعاء الحضارة، ومرآة القيم ودليل الحياة. وهذا ما فهمته الشعوب الأوروبية، فاعتنت بلغتها وجعلتها وسيلتها لفتح الشعوب وقربها ثقافياً وغزوها فكرياً، وخير مثال دول اليابان حيث استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذرية الأمريكية، ففرض الأمريكيون شروطهم على اليابان المستسلمة مثل تغيير الدستور، حلّ الجيش، نزع السلاح..الخ. وقد قبلت اليابان جميع تلك الشروط باستثناء شروط واحد هو: التخلي عن لغتها القومية في التعليم، فكانت اللغة اليابانية منطلق نهضتها العلمية[٢٢]، وهذا ما تجاهلته أمتنا العربية والإسلامية في أوضاعها الراهنة، فلم تجعل لغتها وسيلة التواصل الاجتماعي ومظهراً لعزتها وقوتها وكرامتها، ولعل هذا ما جعل لغة القرآن الكريم تعاني المهانة والاحتقار، لا من قبل أعدائها فحسب، بل الأدهى والأمر، إنها تعاني ذلك من قبل أبنائها كذلك، فكم هي مهمشة، وكم هي مبعدة، وكم هي مهملة،وكم هي منسية.

ليست لغة مجرد أصوات تستخدم أداة للتواصل والإبلاغ، بل هي فوق ذلك وعاء للفكر والعقيدة والقيم والأخلاق، ولايمكن لأي لغة أن تكون معزولة عن تصورات أهلها وتفكيرهم وسلوكهم وأخلاقهم وأنماط حياتهم، وهذا ما فهمته أمم الأعجمية، حيث ركزوا على التربية والتعليم حتى احتلوا الصدارة وجعلوا لمن يتقن لغتهم من المكاسب والمزايا ما يغري أبناء المسلمين بها، فاستقرّ في أذهان أبناء المسلمين أنّ هذه اللغات الأجنبية هي لسان الحضارة والتقدم ومعيار الصلة بالشعوب الراقية.

وفي الوجه المقابل رسخ في أذهان أبناء المسلمين أنّ هذا اللسان العربي لايمثل إلا الجمود والتحجر والرجعة والجهالة وظلام العصور الوسطى، ومن ثم فلايمكن أن يصلح لهذا

---

٦٩ علي قاسم،انقراض اللغة العربية خلال القرن الحالي،بحث مقدم في المؤتمر حول" لغة الطفل العربي في عصر العولمة"١٧-٢٠٠٧/٢/١٩

العصر الحديث ومنجزاته الحضارية والثقافية، هكذا أصبحت اللغة العربية فريسة للغات الأجنبية.[٢٣]

كما ذكرت سابقاً أن جمود اللغة وتخلفها، أو نموها وازدهارها، كله يرجع أولاً وآخراً إلى وضع أهلها، اللغة لاتحيا ولاتموت بنفسها، وإنما يلحقها هذا الوجه أو ذاك بحسب الظروف التي تحيط بها، فإن كانت الظروف فاعلة غنية بالنشاط العلمي والثقافي والفكري كان لاستجابتها، ورد فعلها القوي تعبيراً عن هذه الظروف، وإن حرمت اللغة من هذا التفاعل ظلت على حالها في التخلف والجمود.[٢٤]

إن السياسات اللغوية في الدول الغربية تميل إلى تفضيل اللغة الفصيحة، وفي فرنسا، مثلاً، يوجد قانون يعاقب من يخطئ باللغة الفرنسية في الإذاعة أو التلفزة أو المدرسة، أما السياسات اللغوية للدول العربية تميل إلى تفضيل اللهجات العامية واللغات الأجنبية في مجالات الحياة المختلفة كالإعلام والتعليم[٢٥]. لا سبيل إلى نهضة الأمة واسترداد عافيتها ودورها الرئيسي إلا إذا بوأت اللغة العربية الفصحى مكانتها السابقة في سلم الأوليات المعرفية في التربية والتعليم والثقافة.

خلاصة الكلام: أنّ للغة العربية أبعاد دينية وثقافية واجتماعية، تجعلها محل التقديس عند أبنائها في العالم الإسلامي فهي العروة الوثقى التي شكلت ذلك الإنسجام والتجانس بين أبناء الأمة الواحدة، وهي التي لاتزال محافظة على خصوصياتها الحضارية، بالرغم من ضعف أبنائها وعجزهم في عصر عولمة اللغة. إذا نهضت الأمة من جديد، قويت اللغة العربية، وانتشرت واتسعت لها آفاق، ورضيت بها النفوس.

كل ما ذكرت آنفا هي تحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث، فلابد من العمل في إعادة اللغة العربية إلى ما كان لها من مكانة يحفظ الثقافة والمعارف الإسلامية، من خلال إعادة النظر في أمر تعليم اللغة العربية تعليما صحيحا ييسر التفهيم.

---

٧٠ مهابة محفوظ ميارة، واقع اللغة العربية إلى أين،نوفمبر ٢٠٠٧

٧١ المؤتمر العالمي الأول حول الكتابة العلمية بالغة العربية،واقع وتطلعات، بنغازي،١٩٩٠م

٧٣ على القاسم،إنقراض اللغة العربية خلال القرن الحالي، بحث قدم في المؤتمر حول" لغة الطفل العربي في عصر العولمة."

المصادر والمراجع

أبو الفتح، عثمان ابن جني، الخصائص ج ١

إبراهيم إمام، دراسات في فن الصحفي، القاهرة، بلا تاريخ

أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة، القاهرة د .ت

أحمد عبد السلام،العولمة والثقافة اللغوية وتباتها للغة العربية، مقال مقدم في مؤتمر مجمع اللغة العربية الأدرن، ٢٠١٠م

أحمد أمين، حياتي، صفحة : ٨١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م.

المؤتمر العالمي الأول حول الكتابة العلمية باللغة العربية واقع وتطلعات، بنغازي ١٩٩٠م

الدكتور عبد الملك مرتاض، التعدّدية اللغوية فخ جديد لتمزيق الهوية الوطنية، مجلة العربي، العدد ٥٠٠ صفحة ٢٧، أكتوبر ٢٠٠٠ م، الكويت.

الدكتور عبد الكريم خليفة، العربية لغة البحث العلمي والتعليم الجامعي على مدرج القرن الواحد والعشرين، ضمن كتاب قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب، صفحة ٣٦٣، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٣ م.

الدكتور أحمد شفيق الخطيب، منهجية بناء المصطلحات، مجلة اللسان العربي العدد ٥٢، الجزء الدكتور محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق)، المجلد ٧٣ الجزء ٣، يوليو ١٩٩٨ م.

الدكتور حمزة الكتاني، الحرف العربي أداة تبليغ التكنولوجيا، ضمن كتاب الحرف العربي والتكنولوجيا، صفحة ٩٤، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٨ م.

التربية والتعليم واللغة عند علال الفاسي، للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، ضمن كتاب في رحاب فكر علال الفاسي، مؤسسة علال الفاسي، الرباط، ٢٠٠٠ م.

بحث ألقي في الدورة ٧٤ لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، يوم ٢٨ أبريل ٢٠٠٨ م.

جلال أمين، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٨، صفحة ٢٣، فبراير ١٩٩٨م، بيروت.
جمعة سيد يوسف، سيكلوجية اللغة والمرض العقلي ، د. ط. ت

حمد كُرد عليّ، على جلال قدره، قد أحال هذا المشروع على صديقه علامة العراق الأب أنستاس ماري الكرملي، ليقول رأيه فيه، قبل طرحه على المجمع للتداول في شأنه.

خليل أحمد عمايرة، في التحليل اللغوي د. ت . مكتبة المنار ١٩٨٧م
د. المهابة محفوظ ميارة، واقع اللغة العربية إلى أين. مقال نشر في موقع مكتوب نوفيمبر ٢٠٠٧م
ديوان حافظ إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة ١٩٨٠م
رشدي أحمد طعيمة، المدخل الإتصالي في تعليم اللغة، سلطنة عمان ١٩٩٧م
سالم مبارك الفلق، اللغة العربية والتحديات والمواجهة . د. ط. د. ت .
عبد الإله أحمد النبهان، بحوث في اللغة، والنحو والبلاغة د. ط. د. ت
عبد الحميد عبد الله وناصر عبد الله الغالي، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، دار الغالي، الرياض، ١٩٩١م
علي القاسم، انقراض اللغة العربية خلال القرن الحالي، بحث مقدم في مؤتمر حول (لغة الطفل العربي في عصر العولمة مقر الجامعة العربية، القاهرة، ١٧. ١٩، ٢/٢٠١١٧م
عمر عبيدة، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، صحيفة الوسط الاقتصادية.
عمر عبيد حسنة، في الغزو الفكري، القاهرة، مطبعة السعادة د. ت
عبد اللّه الطيب، مشكلة الأداء في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد٧٣ الجزء صفحة ٥٣٧، يوليو ١٩٩٨ م
كمال بشر، اللغة العربية بين العروبة والعولمة، مقال مقدم في مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الثامنة والستين يوم الإثنين ١ /٤/٢٠٠٠م
لغة القرآن الخالدة، بين مقومات الخلود، ومظاهر الجمود مجلة الأدب الإسلامي العدد السابع/ السن ١٩٩٥م
محمود عباس العقاد، يسألونك، المكتبة العصرية، بيروت د. ت منقول من منتدى أنسابكم

محمد الأسعد، الكتابة الطينية من الرقم الطينية إلى الحجارة فالورق د. ط. د. ت
محمد عبد الحميد أحمد مهد الإنسان العربي نظرية تحتاج إلى تأصيل، مجلة العربي، العدد ٤٧٢ مارس ١٩٩٨م
محمد يوسف الشريحي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة، بيروت، دار الفكر.
مقال لجمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات بعنوان، العولمة ما تسخر منها العربية وما تنتفع بها، جامعة سونن أمييل الإسلامية(اندونيسيا)
مقال لمحمد عبد الحي، اللغة العربية والعولمة الثقافية، العدد ٣٤، / ٢٠٠٣م، مجلة التعليم للعهد التربوي الوطني بنواكشوط.
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ٢٠٠٠ م، بتحقيق وتقديم وتعليق حسين محمد العُجيل. ومما يجدر ذكره هنا أن العلامة
محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ع/٤٨٩/٩/١٩٩١م
محمود عبد الحميد أحمد مهد الإنسان العربي نظرية تحتاج إلى تأصيل، مجلة العربي، العدد ٤٧٢ مارس ١٩٩٨م
مقال لعبد الفتاح الفاتحي، بعنوان، العولمة واللغة.
نشر هذا المشروع ضمن كتاب رسائل الأستاذ الرئيس محمد كُرد عليّ إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، صفحة ١١٣،
يوسف القرضاوي، برامج الشريعة والحياة في قناة الجزيرة، التاريخ عام ٢٠٠٩م.